نظرية النّظم
قراءة في المفهوم والمتعلقات

م.م سعد جمعة صالح
كلية التربية /الأصمعي

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

يقوم هذه البحث بطرح أسئلة ويحاول الإجابة عليها ، أهمها الكشف عن الأفكار التي أغفلها النقاد في ما ذكره ضمنا عبد القاهر الجرجاني ، وهل يعبر قوله الشهير في وضع الكلام على وفق ما يقتضيه علم النحو عن كل ما أراد التعبير عنه ؟
وهل تجد ما قاله في كتابه : (دلائل الإعجاز) قد استوفى جميع جوانب الإعجاز النظمية ؟

لقد خلصت أغلب الدراسات التي جاءت من بعد عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤ هـ) على مفهوم واحد لنظرية النظم ، متناسين أو تاركين الكثير من الدلائل الداخلية والخارجية التي توسع من المفهوم الضيق لنظرية النظم الذي جاءت به هذه الدراسات ، أو ما أغفله عبد القاهر الجرجاني من علاقات نصية قرآنية توسع مفهوم الإعجاز.

وبحثنا هذا ليس إلا ومضة في طريق الكشف عن هذه المتعلقات الخارجية والداخلية لنظرية النظم ،والمقصود بالمتعلقات الداخلية هو ما ذكره عبد القاهر الجرجاني من اشارات خارج مفهوم معاني النحو _اما المتعلقات الخارجية فهي جوانب بيانية اهملها عبد القاهر الجرجاني خلال حديثة عن نظرية النظم .
وجاء اختيار موضوع البحث بعد الدراسة المستفيضة لدلائل الاعجاز الذي انبثقت من خلاله هذه الدراسة.
وتضمن البحث ثلاثة محاور حاولنا من خلالها طرح بعض الآراء ومناقشتها على وفق فهمنا لها والمحاور هي :بنا ان نفخر في متابعة مالم يقال

أولا: مفهوم نظرية النظم .

ثانيا: رصد إشارات الجرجاني إلى الإعجاز خارج مفهوم معاني النحو وأصوله .

ثالثا: جوانب بيانية أهملها عبد القاهر الجرجاني

ان هذا البحث بمنزلة نزهة مع جانب اعجازي تركه لنا اجدانا ، وحري بنا ان نفخر في متابعة ما لم يقال عنه ، وفيه من المحاولات ما يحتمل فيه الصواب والخطأ ، وحسبه انه سار في طريق غيرخصبة ن فقد اكثر الباحثون من متابعة فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، والله اسال التوفيق والسداد.

اولا: مفهـــــــــــــوم نظريـــــــــــــة الـــــــــــــنظم .

فسر أغلب علماء الإعجاز القدماء الذين جاءوا من بعد عبد القاهر ومن بعدهم الباحثون والدارسون المحدثون أن نظرية النظم الجرجانية قائمة على توخي معاني النحو بصورتها الظاهرة وحصرها في زاوية ضيقة لا تتعدى معاني النحوي وأصوله على ظاهرها النحوي متانسين أو تاركين أن عبد القاهر الجرجاني كان يروم ابعد من ذلك حين طرح فكرة توخي معاني النحو، وكذلك جوانب النظرية الأخرى التي جاء بها .

١- القز ويني : الذي يبدو من كلامه انه تابع عبد القاهر الجرجاني من ناحية واحدة وهي توخي معاني النحو في النظم بقوله : ((إن مقتضى الحال مختلف فان مقامات الكلام متفاوتة ،فمنها التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير،ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ،ومقام القصر يباين مقام يباين مقام خلافه،ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة ،وكذا الخطاب الذكي يباين خطاب الغبي ،وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام)) (١)

وصرّح القز ويني بأن كلامه السابق هذا يوازي كلام عبد القاهر الجرجاني بقوله : ((وهذا- أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال- هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر الجرجاني بالنظم حين يقول : النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الإغراض التي تصاغ بها الكلام)) (٢)

٢- السكاكي : تطورت نظرية النظم منذ بذورها الأولى مع نزول القرآن الكريم حتى تحولت إلى قوالب جامدة على يد أبي يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦هـ) الذي نقل إجراءاتها النظرية إلى عوالم مدرسية تعليمية أفقدت النظرية أهم مكوناتها في الكشف عن آليات توخي معاني النحو ، وفي توظيف النحو للكشف عن مواطن الإعجاز في النص القرآني وبيان وجوهه المختلفة.

ومن الدارسين المحدثين الذين شغلتهم نظرية النظم ودلو بدلوهم فيها هم كثر إذا ما استقرينا الزمن العلمي والأدبي ، فقد مرة الحركة العلمية، بعد سقوط بغداد ومجيء التتر سنة(٦٥٦ هـ) بعصور مظلمة جمدت الكثير من العلوم وأوقفتها عن حدودها الأولى الى عصرنا الحديث حتى طرق العلماء العاصرون أبوابها من جديد وراحوا يفلونها ويستخرجون منها الأصول والضوابط التي تفيدهم في توجيه النصوص الأدبية والقرآنية ، وللشيخ محمد عبدة الفضل الأسبق في طرق أبواب كتابي عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) ، ومن بعده جاء الأساتذة الكرام على هذين الكتابين دراسة وتحقيق وتوضيح للكثير من الغموض المحيط بهما والحديث عن آرائهم يطول وسنذكربعضهاحتى لا يطول بنا المقام :

يعلق الدكتور أحمد مطلوب على نظرية النظم في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، قائلا إن عبد القاهر وضحّ أصول (علم المعاني) في كتابه (دلائل الإعجاز) وليست معاني النحو إلا علم النحو نفسه (٣) ؛

وقد وضح جزءًا مما نريد أن نوضحه في هذا البحث وهو الجانب الروحي للنص القرآني ذي الروح التي تتشكل بهيأة تداعيات لهذا الجسد المضبوط بشكل عار عن أي نقص وجسد تمثله معاني النحو الظاهرة وهو القائل : ((ومنهجه النقدي يتسم بصفتين واضحتين هما : الأول : التحليل اللغوي القائم على نظرية النظم التي آمن بها وألح عليها في دلائل الإعجاز ... والذوق والإحساس الروحاني وكان منهجه منهجا لغويا تحليليا ينبع من داخل النص لا من خارجه)) (٤) ٠

يقول الدكتور حاتم الضامن في معرض حديثه عن مفهوم نظرية النظم:((فالنظم عنده معاني النحو ولذلك نراه يكرر هذا المعنى ويعيده))(٥) ويوضح المقصود بمعاني النحو هو الدلالة (semiotics) بقوله: ((فالقاعدة اذن ليست الهدف وانما الهدف هو الدلالة على المعنى))(٦)٠

ويقول أحد الباحثين المحدثين : ((فنظرة عبد القاهر في الإعجاز لاتبرح مكان النظم الذي يأخذ النحو المدى الواسع منه ... وهذا رايه في الإعجاز وهو ماتبناه الفهم المعاصر))(٧) ٠

ويقع تعريف عبد القاهر المعروف للنظم في حدود ((تأليف الكلام على وفق القوانين التي يقتضيها علم النحو)) (٨) ٠

ثانيا: اشارات عبد القاهر للاعجاز خارج مفهوم معاني النحو واصوله:

نتناول هنا بعض ما أهمله مفسرو نظرية النظم من دلائل واشارات واضحة تؤكد ان الاعجاز غير مقصود بمعاني النحو وحدها لكنه لم يوضح ولم يبين غير دلالة معاني النحو وتاثيرها في نظم النص القراني .

إن من يدقق النظر في عنوان كتاب عبد القاهر الجرجاني يتبين له أن عبد القاهر بثّ في مادة الكتاب مجموعة أدلة على إعجاز القرآن لا دليل واحد ، وأول ملمح على هذا الإطار هو عنوان الكتاب دلائل الإعجاز الذي يشير فيه صراحة إلى أن دلائل الإعجاز كثيرة لا تقتصر على دليل واحد وأما أدلته الأخرى فهي :

الدليل الأول : ذكر عبد القاهر أن النظم القرآني لا يقتصر على معاني النحو وأحكامه وإذا كانت هي وحدها محصول النظم وموجودة عند العرب فما الذي اعجز العرب ؟ بقوله : إذا كان النظم هو معاني النحو وأحكامه وهي محصول النظم ، موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في منثور العرب ومنظومه وراياهم قد استعملوها وتصرفوا فيها وكملوا بمعرفتها وكانت حقائق لا تتبدل ولا يختلف بها الحال...فما هذا الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية ، وباهر الفضل ، والعجيب في الرصف ،حتى اعجز الخلق قاطبة ،وحتى قهر البلغاء والفصحاء القوى والقدرة وقيّد الخواطر والفكر حتى خرست الشقائق وعدم نطق الناطق بها ،وحتى لم يجر لسان، ولم يبين بيان ،ولم يساعد أمكان ولم ينقدح لأحد منهم زند ، ولم يمض له حد وحتى أسال الوادي عنهم عجزا ؟ أيلزمنا أن نجيب هذا الخصم عن سؤاله ، ونرده عن

ضلاله ، وأن نطبّ لدائه ، ونزيل الفساد عن رأيه ؟ فأن كان ذلك يلزمنا ، فينبغي لكل ذي دين وعقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه (٧)

وكلام عبد القاهر الجرجاني في هذا النص واضح وبين فهو يشير فيه صراحة إلى أ النظم لا يقتصر على توخي معاني النحو فقط بقواعدها الظاهرة الموجودة عند العربية بل هو نص منتظم على وفق أصول النحو ولكن بتنظيم وترتيب المعاني الحاصلة ، والنظر لتداعيات هذا النظم القرآني وتأثيرها على النفوس فأصول النحو عند عبد القاهر روح لهيكل التركيب ، فالاختلاف في معاني النحو ما عند العرب ومابين ما موجود في النص القرآني هو الروح التي يمتلكها النص القرآني .

الدليل الثاني : تحدث عبد القاهر الجرجاني في الإعجاز ويبين أوجه الإعجاز التي يعتقدها بقوله((فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ،وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ إيه ومقاطعها ،ومجاري ألفاظها ومواقعها ، وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر ،وصورة كل عظة وتنبيه ،وأعلام وتذكير ، وترغيب وترهيب ،ومع كل حجة وبرهان ،وصفة وتبيان ،وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا ، وأية أية ، فلم يحدو في الجميع كلمة ينوب مكانها ،ولفظ ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أحرى واخلق ،بل وجدوا اتساقا بهر العقول ،وأعجز الجمهور ، ونظاما والتئاما ، واتقانا وإحكاما ، لم يدع في نفس بليغ منهم ، ولو حك بيافوخه السماء ، موضع طمع ، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول ، وخذيت القروم فلم تمتلك أن تصول))(٨)

الدليل الثالث: يوصي عبد القاهر الجرجاني نفسه بقوله : إذا كانت وجوه الإعجاز هي التي ذكرها في نصه السابق (٩)هي وجوه الأعجاز التي أعجزت العرب فهل تستلزم منه هذه الادلة السكوت وان يقلد في ذلك من سبقه ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ماهي ؟ ومن أين كثرة الكثرة العظيمة ، واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق وطاقة البشر ، وكيف يكون ظهورها في ألفاظ محصورة ، وكلم معدودة ومعلومة ، بأن يؤتى ببعضها في إثر بعض ، لطائف لا يحصرها العدد ، ولا ينتهي بها الأحد ؟ أم أن يبحث عن ذلك كله ، ويستقصي النظر في جميعه ، ويتتبعه شيئا فشيئا ، ويستقصيه بابا فبابا حتى يعرف كلا منه بشاهده ودليله ، ويعلمه بتفسيره وتأويله ، ويوثق بتصويره وتمثيله ولا يكون كمن يقول (١٠) وقوله كذلك((وليس يتأتى لي أن أعلمك من أول الأمر في ذلك أخره ، وان اسمي لك الفصول التي في نيتي أن أحررها بمشيئة الله عز وجل ، حتى تكون على علم بها قبل موردها عليك .[فاعلم] (١١) إن ههنا فصولا يجيء بعضها في إثر بعض وهذا أولها)) (١٢)٠

وذهب عبد القاهر الجرجاني يستطرد في ذكر الفصول وكان أولها في تحقيق لبقول في البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة ومرورا بالفصول الأخرى من مثل ما يسميه المحقق في النظم يتحد بالوضع ويدقّ بالصنع ثم الفصول الأخرى من مثل التقديم والتأخير والذكر والحذ ف ... الخ.

إن ما ذكره عبد القاهر في أدلته الثلاث هذه إنما أراد أن يوضح لنا أن معاني النحو بأصولها وعلومها الموجودة هي نفسها الموجودة عند العرب لكن الاختلاف في الخواص فما تضمنته معاني النحو القرآنية إذا صح التعبير تختلف عن معاني النحو المستخدمة عن العرب من ناحية المضمون ومتشابهة معهم من ناحية الشكل.

ثالثا: جوانب بيانية أهملها عبد القاهر الجرجاني.

وفي هذه المتعلقات دلالة واضحة على إعجاز القرآن الكريم ، وعند تأملها والخوض قليلا في أسرار إعجاز القران الكريم الذي فُسِّر بنظمه ، خارج مقام معاني النحو وأصوله ، وداخل العملية البيانية النظمية وداخل سياق النص القرآني إن صح التعبير؛ ونجد هذا واضحا في التعابير المتشابهة مع اختلاف بعض مفرداتها بسبب السياق أو المقام أو المعنى أو سبب النزول أو تكرار القصة الواحد مع اختلاف قليل لإثبات شيء أخر غير ما مذكور في مقام الذكر الأول للقصة أو غير ذلك من علل وأسباب بل في بعض الأحوال نجد الإعجاز البياني الجمالي حاضر هنا .

قلل عبد القاهر من اهمية اختيار المفردة وجعل الفضل للفظة في التركيب الواحد داخل جزأ الاية الواحد او الجملة الواحد بقوله ((ان الالفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وان الفضيلة وخلافها ،في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، وما اشبه ذلك ،مما لا تعلق له بصريح اللفظ))(١٣)٠

ونحن لا نختلف البتة معه لكن لهذه اللفظة ميزة وخصيصة ووضيفة تتعدى معاني النحو الى مناسبة النص، من ناحية معناها الدقيق قبل نسجها في التركيب فلو كان اختيارها على مستوى ملاءمتها لمعاني النحو واصوله وحده من حيث مقامها في الجملة ، لصلحت بدل اللفظة لفظة اخرى قريبة لها في المعنى وملائمة للبناء لكن اختيار الالفاظ بابه واسع ينتقلي من الالفاظ ما يناسب المقامات والسياقات والمعنى وسبب النزول والفصل والوصل وكل انواع المناسبات القراني وهي اوسع من معاني النحو المذكورة في كتاب دلائل الاعجاز كما سنرى عند عرض البحث لبعض اسرار الاعجاز القراني والعلل التي كشف عنها علماء الاعجاز.

ولابن الأثير قول مهم وفصل في هذا المقام بين فيه أن العملية النظمية تمر في ثلاث مراحل يحتاج فيها صاحب هذه الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة اشياء الأول منها : اختيار الألفاظ المفردة وحكم ذلك حكم اللآلئ المبددة ، فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم . أما الثاني فيرتبط بنظم كل كلمة مع اختها المشاكلة لها ، لئلى يجيء الكلام قلقا نافرا عن موضعه . وحكم ذلك حكم العقد المنظم في اقتران كل لؤلؤة منها باختها المشاكلة لها .

ويرتبط الثالث بالغرض المقصود في ذلك على اختلاف أنواعه ، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم ، فتارة يجعل إكليلا على الراس ، وتارة يجعل قلادة في العنق وتارة يجعل شنفا في الأذن ، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة (١٤)

وكلام ابن الاثير هذا واضح بيّن يشير فيه الى العملية النظمية الثلاث ، وعبد القاهر الجرجاني قد وضح المرحلة الثانية منها وجعلها وحدها عماد نظرية النظم متناسيا اهمية اختيار المفردة قبل النظم ومتناسيا كذلك المعنى المقصود الواجب على اللفظة تاديته .

أشار بعض العلماء الأجلاء الى أن المشرع الجرجاني في الإعجاز غير كامل ، لكنهم لم يوضحوا ما هي المفاصل التي تكمل مفهوم الإعجاز عند الجرجاني ومنهم الدكتور عبد القادر حسين الذي يعلل ذلك بقوله : ((فعلى الرغم من أن الدافع إلى وضع هذه النظرية عند عبد القاهر الجرجاني كان دينيا بحتا ، وغرضه خدمة الدين والعقيدة ، إلا أن هذا الهدف لم يتحقق ، فمن يقرأ الدلائل يشعر بمدى سيطرة المباحث النحوية والبلاغية على بيان إعجاز القران ، مما يدل على أن عبد القاهر قد نسي الغرض الذي ألف الكتاب من أجله ، أو انحرف عن الطريق المرسوم ، وربما كان هو السبب في أن عبد القاهر قد تسرع في تصنيف رسالة جديدة ليستدرك ما قاله في الدلائل...(١٥) ٠

واذا ما نظرنا الى امثلة الجرجاني القرانية التي استشهد بها في مجال حديثه عن مزية اللفظة من خلال ملاءمتها للتركيب على وفق اصول النحو نجده قد ترك جانبا مهما من جوانب اختيار اللفظة وملاءمتها لمكانها وللمعنى الذي تؤديه مع الجمال في التركيب بقوله ((وهل تشك اذا فكرت في قوله تعالى ((**وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الضالمين**)) فتتجلى لك منها الاعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع انك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة ، والفضيلة القاهرة ، الا لامر يرجع الى ارتباط هذا الكلم بعضها ببعض ، وان لم تجد لها من الحسن والشرف الا من حيث لاقت الاولى بالثانية والثالثة بالرابعة ...))(١٦) ٠

فهو لم يعرج الى معنى (ابلعي) والدقة في اختيار هذه اللفظة بدل غيرها فقد تجيء كلمة (ابلعي) مصورة لما يراد ان تصنعه الارض بمائها ، وهو ان تبلعه في سرعة سريعة ، بل في غمضة عين (١٧) وكلمة ((ابلعي)) افضل من امتصي مثلا ، لانها لا تدل على ما تدل عليه الاولى من الاسراع في التشرب ،وفي اضافة الماء اليها ما يوحي بانها جديرة بان تمتص ماء هو ماؤها لم تكلف في امرها عسرا))(١٨) ٠

يقول البارزي :((اعلم ان المعنى الواحد قد يخبر عنه بالفاظ بعضها احسن من بعض ، وكذلك كل واحد من جزأي الجملة ،فقد يعبر عنه بافصح ما يلائم الجزأ الاخر ، ولابد من استحضار معاني الجمل ، واستحضار جميع ما يلائمها من الالفاظ ،ثم استعمال انسبها وافصحها ،استحضار هذا متعذر على البشر في اكثر الاحول ،وذلك عتيد حاصل في علم الله ،فلذلك كان القران احسن الحديث ن وافصحه ،وان كان مشتملا على الفصيح والافصح ،والمليح والاملح ،ولذلك امثلة منها قوله تعالى: وجنى الجنتين دان) لو قال مكانه :وثمر الجنتين قريب ،لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنتين ،ومن جهة ان الثمر لايشعر بمصيره الى حال يجنى فيها ،ومن جهة مؤحاة الفواصل))(١٩)

فالالفاظ تمثل ما تتطلبه المعاني ،او بعبارة اخرى :القوالب على قدر الافكار ،لا زيادة ولا نقص نمع الاحكام في النسج ، والدقة البالغة في النظم ،والاعجاز في الصياغة))(٢٠) ((فقد تلقى البلاغيون الكلمة القرانية بكثير من الانجذاب الروحي والعقلي لانهم ادركوا ما نختزنه من عجيب التاليف ،وبديع التصوير ،وعمق التحليل في المستويات كلها))(٢١) ٠

جد في النص القرآني الكثير من الألفاظ والصيغ والتراكيب التي تأتي بصور مختلفة ومتباينة ومشابه لتراكيب أخرى لكنها تؤدي معاني مختلف كل الاختلاف عن التراكيب الأخرى لأنها يء بها بهذا الاختلاف لقصدية معينة تكون سياقية في هذا المقام والأمثلة كثيرة وكلها منتظمة مرتبة وقد تطرق لها الكثير من العلماء الذين خاضوا غمار الإعجاز القرآني.

ونلاحظ أن النص القرآني يختار من الألفاظ والمفردات ما تكون هي الأقرب إلى سياق ألفاظ النص القرآني ويعد الجاحظ من أوائل الذين تنبهوا إلى إظهار مزايا اختيار المفردة وقيمتها التعبيرية في السياق القرآني بالمعنى الدقيق بقوله : ((وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القران الجوع إلا في مواضع العقاب، أو في مواضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ؟ والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة وكذلك ذكر المطر ، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث ... والجاري لى أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر ، وأولى بالاستعمال))(٢٢) ٠

ان صعوبة استبدال لفظة باخرى في التعبير القراني مبعثها الدقة المتناهية في الاختيار ،وهذه الخاصية تعم النص كله دون استثناء ،اذ لا نستطيع مهما جهدنا _ان نستبدل لفظة_باخرى هذا هو سر من اسرار الاعجاز القراني ويتجلى ذلك في كلام الذين حاولوا تقليد اسلوبه من المخدوعين فجاء كلامهم مفتقرا الى الدقة والجمال.(٢٣)٠

ولمجيء اختيار المفردة الواحدة في النص القرآني دلالات كثيرة تحدث تبعا لمراعاة المقام والسياق ، فهي مختارة مقصودة بهذا اللفظ دون غيره ولو بدل بلفظ غيره قريب له في المعنى لاختل المعنى وتشوه البناء وضاع الإعجاز لذلك حرص النص القرآني على تنقي ما هو أحق بالذكر من غيره وهي كثيرة في النص القرآني سنذكر بعضا منها لتتضح الفكرة وتبان الصورة التي نريد من خلالها إثبات أن إعجاز القران الكريم يتعدى التركيب الواحد الى النص ككل بوصفه بناء فني متين متكامل لا يشوبه النقص من الفاتحة إلى الناس من الناحية النظمية والبيانية :

ولو تاملنا توظيف لفظتي ((انفجر وانبجس)) فكلاهما قد ورد في تركيب مشابه للآخر ومعانيهما متقاربة تكاد تكون متماثلة بيد ان مراعاة القران لتوظيف

اللفظة هو الامثل ، فقد استخدم النص القرآني لفظة (انفجرت) في سورة البقرة بقوله((فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا_٦٠) وقال تعالى في مكان آخر شبيه بنفس التركيب مع اختلاف لفظ واحد وهو (انبجس) في قوله تعالى ((فانبجست منه اثنتا عشرة عينا)) [الأعراف : ١٦٠] (٢٤) ٠

يطرح الدكتور فاضل السامرائي سؤالين عن هاتين اللفظتين ويقول هل الصحيح انفجر او انبجس وهل يمكن استبدال أحدهما بالأخرى مع تشابه التركيبيين وتقارب المعنيين فيقول إن الأمرين واقعان (الانبجاس والانفجار) ، وكلا اللفظين صحيح في مكانه الذي وضع له ويقرر أن كل لفظ منهما قد ذكر تبعا لما يقتضيه السياق والمقام ولو غاير بينهما فاستعمل الانفجار مكان الانبجاس لكان خلاف ما يقتضيه المقام والسياق_ فانه قال (انفجرت) في البقرة و(انبجست) في الأعراف لان الانفجار انصباب الماء بكثرة والانفجار ظهور الماء واحد أسباب الاختلاف التي يذكرها الدكتور السامرائي أما السياق والمقام فيورد أن سورة البقرة ذكرت الشرب في سياق خاص : ((**كلوا واشربوا من رزق الله**)) [البقرة :٦٠] لذلك ظهر لفظ خروج الماء بصيغةبليغة وهي (انفجر) وفي الأعراف لم يذكر الشرب فقال تعالى ((كلوا من طيبات ما رزقناكم _ الأعراف ١٦١)) . وليس فيها تشربوا ، فلم يبالغ فيه بل ذكر لفظ (انبجس) ليناسب المقام (٢٥) ٠

ويبدو للباحث والله اعلم ان هناك امرا سياقيا اخر وهو ان سياق سورة البقرة في مقام الحديث عن عصيان بني اسرائيل لاوامر الله تعالى ابتدأ ذلك العصيان من الاية (٥١) حين اتحذ بنو اسرائيل العجل الها لهم واستمر هذا المشهد الى الاية (٥٤) ثم طلبهم من نبي الله موسى عليه السلام بان يريهم الله جهرة حتى يؤمنوا به فاماتهم الله بالصاعقة ثم بعثهم من بعد موتهم واستمر هذا الحال بهم من عصيان الى عصيان حتى ذكر سبحانه وتعالى طائفة منهم بدلوا دينه عز وجل فانزل الله عليهم الرجس بما كانوا يظلمون البقرة الاية (٥٩) ثم بعد ذلك استسقى موسى لقومه وكان المقام مقام تعداد معاصي بني اسرائيل وذكر الامة المحرفة لدين الله فناسب ذلك ذكر لفظة (انفجر) لما فيها من غلظة وشدة حتى تناسب مقام العذاب والتعزير الواقعان على بني اسرائيل.

اما سياق سورة الاعراف فكان بالحديث عن امة مرحومة من بني اسرائيل في الاية (١٥٩) ثم اعقبه بالحديث عن سقيا موسى لقومه فذكر لفظة(انبجس) لما فيها من الرقة والطمئنية لتناسب مقام الامة المؤمنة من بني اسرايل.

فلننظر الى هذا النص بنظرة موظوعية ونتجرد عن اراء الجرجاني ونظريته ، نجد ان المراعات للجانب النظمي البياني قد حدث على الرغم من تباعد الامكن اليس هذا بدليل واضح من ادلة القران الكريم المعجزة من ناحية بنائه التركيبي فلو كان الاعتبار على اساس مراعات معاني النحو واصوله في التركيب الواحد البسيط لكان ذلك سهلا يسيرا على العراب من تقليده لان المراعات تكون به على مستوى التركيب الواحد في المكان الواحد.

نتائج البحث

اولا : إن ما أوجده الجرجاني من نظرية نظمية طبق أجزاءها على النص الأدبي ونظنه كان يؤسس لنظرية في النص الأدبي ككل ، لذلك كانت استشهاداته أدبية شعرية في الأغلب .

ثانيا : إن ابن الأثير قد استدرك على عبد القاهر الجرجاني في موضعين أحدهما حين جعل أهمية اختيار اللفظة المفردة قبل التأليف ، والآخر جعل المعنى المقصود مرحلة مهمة من مراحل النظم لا يكون النظم ولا يكتمل إلا بها .

ثالثا: وضح البحث أهمية المقامات المتباعدة في العملية النظمية وهذا أمر تركه كل من الجرجاني وابن الأثير وغيرهم من العلماء اللذين فسروا نظرية النظم .

رابعا : إن عبد القاهر لم يدرك أهمية اللفظة قبل الاختيار في النظم بسبب الجدلية التي كانت سائدة في عصره والعصور التي سبقته من كون المزية والفضل في اللفظ أو المعنى وهو من انصار المعنى لذلك نراه قلل من أهمية اختيار المفردة قبل العملية النظمية .

خامسا : ان المقصود بمعاني النحو هو محور علم المعاني (semiotics) الذي شغل الدرس النقدي واللغوي الغربي ، وعبد القاهر هو المؤسس الفني لهذا العلم .

هوامش البحث

(١) الإيضاح في علم المعاني والبيان : ٩
(٢) المصدر نفسه : ٩
(٣) ينظر:معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :٣/٣٣٤
(٤) عبد القاهر الجرجاني ونقد النص الشعري : د. أحمد مطلوب : ٩
(٥) نظرية النظم تاريخ وتطور :٥٠
(٦) المصدر نفسه :٥٢
(٧) القراءة المعاصرة للبلاغة العربية / قراءة عبد القاهر الجرجاني انموذجا : ٣٣

(٨) مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب : ٩٧
(٩) ينظر دلائل الإعجاز :٨ ـ ٩
(١٠) دلائل الإعجاز :٣٩
(١١) يقصد نصه السابق في الصفحة ٣٩ الذي ذكرناه في دليلنا الثاني.
(١٢) دلائل الإعجاز :٤٠.
(١٣) في الأصل : فاعمل .
(١٤) دلائل الإعجاز : ٤٥
(١٥) دلائل الإعجاز/٤٦
(١٦) المثل السائر : ٨٦ ـ ٨٧ (١٤) اثر النحاة في البحث البلاغي ، د. عبد القادر حسين : ٣٥٩
(١٧) دلائل الإعجاز/٤٥-٤٦
(١٨) من بلاغة القران / ٥٥ _ ٥٦
(١٩)مفهوم الاعجاز القراني الى القرن السادس الهجري /٢٨٧_٢٨٨
(١٨)مقدمة كتاب انوار التحصيل في اسرار االتنزيل
(١٩) ينظر المثل السائر :٨٦_٨٧
(١٩)مفهوم الاهجاز القراني حتى القران السادس الهجري/٢٨٧
(٢٠) في جمالية الكلمة:
(٢١) البيان والتبيين : ٤٠/١
(٢٢) ينظر مستويات النظم في التركيب القراني ٥٩
(٢٣) ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني /١٠٠
(٢٤) ينظر التعبير القرآني /٢٧٦ وما بعدها

مصادر البحث ومراجعه

١-اثر النحاة في البحث البلاغي-- د عبد القادر حسين- دار الوحدة بيروت _-١٩٨٠.
٢- الايضاح في علوم البلاغة-- محمد بن عبد الرحمن القزويني -- تح لجنة من اساتذة الازهر مبعة السنة المحمدية (لا_ت)
٣- انوار التحصيل من اسرار التنزيل – شرف الدين عبد الرحيم البارزي .
٤-بلاغة الكلمة في التعبير القراني _د فاضل صالح السامرائي_ دار الشؤون الثقافية بغداد ٢٠٠٠م
٥- التعبير القراني _د فاضل صالح السامرائي_دار الحكمة بغداد ١٩٩٤ م
٦-دلائل الاعجاز- عبد القاهر الجرجاني-تح محمود احمد شاكر _دار المدني بجدة _ط٣_١٩٩٢م
٧-في جمالية الكلمة _د حسين جمعة _من منشورات اتحاد الكتاب العرب _دمشق ٢٠٠٢م
٨-مفهوم الاعجاز القراني حتى القرن السادس الهجري-- د احمد جمال العمري _دار المعارف القاهرة (لا-ت)

٩_مستويات النظم في التعبير القراني – د-عبد اواحد زيارة اسكندر ٠ـــرسالة دكتوراه – كلية الاداب /جامعة البصرة --١٩٩٨
١٠-نظرية النظم تاريخ وتطور _د حاتم الضامن _منشورات وزارة الثقافة والاعلام ١٩٧٩م ٠